مقـدمة الكتـاب

قال محدثى : أراك تعاود الحديث عنهن بعد ما قدمتَ للمطبعة «طبائعَ النساء» الذى شغل الرجال والنساء ، وملأ الأرجاء !

قلت : لقد امتلأت كتب التراث بأخبار النساء ، وتضافرت عوامل كثيرة لتقف حائلاً دون الاستفادة منها ، فهل على من حرج إن أقبلت عليها ، واخترت منها ما يصور «دنيا النساء» من سامى المكانة وعظيم المنزلة ، وما أثر عن العرب من أخبار صوروا بها حبهم العفيف ، وعشقهم الشريف ، وما كان لهم من محاورات ومساجلات ، وما ذكروه من طريف الأخبار ، ولطائف النوادر والآثار ؟ !

قال : لا عليك ؛ فسوف تظل القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خلجات النفوس ! قلت : وهل هناك من ينكرْ أن القصة إذا شرف غرضها ، ونبل مقصدها ، وكرمت غايتها ـــ تهذب الطباع ، وترقق القلوب ، وتدفع إلى المثل العليا من التمسك بالإيمان والفضيلة والشرف والعفاف والتصون ، والتضحية والإيثار ؟ !

ومهما تباعدت المسافة بين القدامى والمحدثين ، وتبدلت الأحوال وتغيرت الظروف ، وتطور الإنسان ، فسوف تظل المرأة هى المرأة ، تتراءى لنا عن قرب من خلال ما نقرؤه من أخبار النساء فى سالف العصر والأوان ، فهنَّ هُنّ وإن تطورن !!

وليس هناك من شك فى أن تلك «المأثورات» تزيدنا معرفة بها ، وقرباً منها ، وفهماً لها ، وإشفاقاً عليها ، وتوداداً إليها ! فإذا تحقق لنا مزيد من المعرفة للمرأة ، وتثقيف الأذهان بذكر الطرائف ، وانشراح الصدور بعرض اللطائف كناقد أصبنا الهدف ، وحققنا المراد !

إننى سوف أتيحُ لك ـــ عن قرب ـــ أن ترى المرأة فى جِدها ، وهزلها ،

ومرحها ، ولهوها فى شتى المواقف ، وأجمل حوار ، وأحلى حديث .

نعم . سوف نَحيا مع كلمات عبقرية ، وردود ذكية تحرك فينا ــ نحن الرجال ــ الشهامة والأريحية والنخوة وتدفع بنا إلى المجد والتضحية والفداء !

فهل علىّ من حرج بعد هذا إن كتبت عنهن ؟ !

أليست الدنيا كما قال الثعالبى مؤنثة والناس يخدمونها ؟ !

والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية !

والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحُلّيت بالنجوم الثواقب !

والنفس مؤنثة ، وهى قوام الأبدان ، وملاك الحيوان !

والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا تحرك الأنام !

والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها تنعم المرسلون !

والمرأة مؤنثة ، وهى نصف المجتمع ، وصانعة الأبطال ، ومعلمة الرجال ، ومنشئة الأجيال .

قال محدثى : لا عليك فقد اخترت فأحسنت الاختيار ، وجاءت الكلمات من نور ونار ، تضىء الطريق أمام الأجيال ، وتقرب المسافة بين النساء والرجال !

قلت أسأل الله التوفيق ، وتحقيق الآمال !

محمد إبراهيم سليم

المحرم ١٤٠٩ هـ

القاهرة فى : سبتمبر ١٩٨٨م